ليلى بعلبكي

ليلى بعلبكي
«تريد أن تحيا»

obeikandl.com

«أنا في بيتنا.. ضائعة.. لست شرقية.. ولست غربية، لست حرة.. ولست مستعبدة، لست شقراء ولست سمراء».

هذا ما تقوله ليلى بعلبكي عن نفسها..؟

ولكن ماذا يقول عنها غيرها، حين قرأوا روايتها الجريئة.. «أنا أحيا».

قال «ميخائيل نعيمة»:

الأسلوب وحده.. كاف لأن يجعل للكتاب.. «أنا أحيا».. قيمة ليست لأي كتاب غيره.. في الأدب العربي قديمةً.. وحديثة، إنه لأسلوب جديد.. فريد.

وقال عنها.. كتّاب لبنان:

ليلى بعلبكي «امرأة.. تكبدت مشقة الكتابة.. وهذا شيء رهيب، عندنا، حيث يمارسون على المرأة ضغطاً خانقاً، وينبغي الخروج من هذا.. وأحياناً يحصل الخروج بالأدب، كما حدث.. «لليلى بعلبكي».

«أنا أحيا» قصة غضة.. فيها غنائية لفظية راقصة تدنيها من غنائية الشعر. لقد استطاعت «ليلى بعلبكي».. أن تتخطى الخوف من اللغة.. أو عليها، وأن تفصح عن حاجة حقيقية ببراءة لم يفسدها التهويل وادّعاء التفلسف.

وأخيراً يقولون عنها:

«ليلى بعلبكي تخرج من كهوف الظلام.. التي عاشت فيها دهوراً إلى ساحة الحرية. فلست تدري.. تلك الشرارات المتطايرة في كل صوب.. أهي من الشمس المطلة عليها، أم من الصدر الذي تمزقه.. لتدخل الشمس إلى أعماقه؟

لقد قالت ليلى بعلبكي عن نفسها ما قالت. وقال الأدباء عنها ما قالوا، وبقي لنا أن نعرف نحن ماذا تقول روايتها «أنا أحيا»؟ وماذا نقول نحن عنها؟.

أحلامها.. آمالها.. ثورتها المكبوتة.. رغبتها في الحياة.. تريد لها أن تحيا.. وتحيا حياتها.. بما فيها من تجارب وانطلاق، بما فيها من أسى وشجن، بما فيها من حرية وقيد. وتعيش لتحيا، وتحيا لتعيش وتصرخ أعماقها.. في حلقات مؤلفة من طلاب في قاعات المحاضرات، كانوا يتناقشون.. «أنت وأنت.. وأنت.. نحن.. جبناء.. ضحايا.. يمتصون دماءنا».

كل واحد من الزملاء يمثل منظمة اجتماعية، أو حزباً أو إرادة فرد مسيطر.

وتقول وهي في وسط هذه الغوغاء وهي الأنثى الوحيدة في هذه المجموعة الثائرة:

«وأحسست بالوحدة بينهم، بالتفاهة، وبالضيق وبدأت أمقتهم، حين تحسست ضياعي في مجموعهم. فهذه الرؤوس.. تحتوي أفكاراً مغلوطة دخيلة.. هي أخطر علينا.. من سموم المستعمر.

فتحت فمي لأتكلم.. فتحركت الرؤوس لماعة في وهج الشمس.. حمراء، سوداء، صفراء، عتيقة جديدة، قائمة، وتعلقت العيون بصدري المتمرد.. الجريء فتفحصت العيون بحذر، فإذا كلها جائعة تستعد للغرق في بحار من دماء الشعوب كلها، لا لنشر الفكرة الاشتراكية ولا لتوحيد

الدول العربية تحت سقف برلمان واحد، ولا لاسترجاع فلسطين، ولا لتحرير الزائد، كما اقترحوا منذ هنيهة ـ إنما.. وهم الآن على أتم استعداد.. لشرب دماء بعضهم بعضاً.. لنيل قبلة من شفة ثائرة.. وللمسة نهد.

يا للمسكينة.. شعرت بأنها بالفعل «أنثى». أنثى.. وحولها ذكور جائعة، أبداً لم ينظروا إليها على أنها فكر يشارك، أو رأي يخالف، أو كيان له وجوده، بل توجهت إليها كل النظرات هم رجال.. وهي «امرأة».

إنها ثائرة؟

«ألست حرة في أن أفعل ما أريد؟ لن أحتاج إلى أبي ودريهماته.. ما دمت سأعمل.. والعمل سيكون فاخراً. هيه.. لن أحتاج لوالدي وسيارته.. ما دمت سأدفع من تعبي الأجرة، وأجلس في مقعد سيارة بعظمة، وسأمسك بربع الليرة.. بأطراف أصابعي وأرميها للسائق دون أنظر في وجهه»..

إنها تحلم بحريتها، باستقلالها المادي.. والمعنوي، بالشعور بكيان.. عظيم مستقل.

كل النساء ضعيفات.. هذا هو الرأي.. السائد..

سألها رجل:

ـ لماذا لا تتزوجين؟

ـ أنا؟

«آه لقد حرك سؤاله في نفسي عاطفة.. هذه العاطفة.. تتمزق في جسدي.. أنا زوجة..؟ معناها.. أنني عارية.. بعد نزع الغلالة البيضاء.. عن الأهيف السكران.

وأن السرير الوردي فواح الجوانب، وأن الزوج يتأهب لنمارس معاً.. في الظلمة صناعة الأطفال. ومعناها: أنني ذابلة بعد أن أمضيت ساعات ضجر في المطبخ، وقد نجحت في إعداد طبق زوجي المفضل والتهم

الزوج.. الطعام الفاخر، وتمدد على المقعد يصغي لنشرة الأخبار.. وأنا.. بعد أن استيقظت على شفتي رغبة في التقبيل، أراقبه بذل.. وأدعوه بصمت.. وأزحف إليه على ركبتي أستنجده أن: يكف لحظة عن إهمالي.. فلا يكف، وتنتهي النشرة الإخبارية.. فيحمل صحيفة المساء.. والرغبة المقتولة على أناملي تبني.. بيني وبينه حجراً فوق حجر.

معناها إذاً: أنا العبدة وهو السيد المطاع.. لي التلبية.. وله الطلب، لي الجوع.. وله الشبع، لي الانتظار.. وله.. ساعة التنفيذ.

ولها معان كثيرة غيرها.. حاولت تجسيمها، فانتزعها الرجل من شرودها ليقول لها عن مأساته هو.. في الزواج:

«أما أنا.. فالزواج عندي مقامرة. وأنا، ككل شاب مثقف، إذا لم يجد المرأة التي تتفهمه، فهذه هي مأساته.. حين يجبر على شراء زوجة تشاركه الفراش.. كأنثى».

وضحت هنا مأساة المرأة.. ووضحت مأساة الرجل، أما مأساة المرأة فأقسى في إيمانها هي. إنها تبدأ حين يعتقد الرجل أن المرأة تقبله زوجاً.. لأنه سيلبسها سواراً.. ويسكنها في بيت.

وهو.. يريد أن يفهم ماذا تريد المرأة أكثر من ذلك؟.

المرأة تريد مشاركة، أن يشاركها زوجها الحياة التي يحياها.. في سماع نشرة الأخبار، في قراءة كتاب معين، في الذهاب إلى السينما، في شرب الكولا، في تدخين السيجارة، في رد الزيارات، في إعداد المائدة، في كل ما يدخل في حياتهما المشتركة. أن يشاركها في كل شيء.. في كل شيء.. هذا هو ما تريده المرأة.

والرجل يقول:

ـ أريد المرأة ناعمة دوماً.. حكيمة.. قوية مستسلمة، يسعد الرجل أن تغمره المرأة ببحر ابتسامات وإن كانت كاذبة ـ تبدد بها همومه.. ومآسي حياته.

وفكرت هي:

ـ هذه نظرية زائفة.. يعيش فيها الرجل، وهل يجب أن تمثل المرأة دوماً.. أدواراً ملفَّقة، تبتسم وهي تمقت هذا الرجل.. تبتسم له.. وهي ترهبه؟!.

تبتسم له.. وهي تعد مؤامرة لقتله.

ولكنها شعرت أنها تحتاج إلى رجل.. للحصول على طفل، إنها أمومة الأنثى الخالدة.

ولكنه هو.. ينظر إليّ.. يشعر في صمته بالخجل، من العار أن تتردد الفتاة على مقهى.. من العار أن تعمل مع الرجال، من العار أن تقص أكمام ثوبها، من العار ألاّ تغلف ساقيها بالجوارب السوداء، من العار أن تدخن، من العار أن تحدث الرجال.

إنه يراني.. كومة عار على الكرسي.. ولهذا فهو.. لن يتكلم.

فليتكلم.. علّه يغسل بعباراته شعور العار في فكري، وليستطلع مني أسباب الحيرة على وجهي، فنبني أنا وهو.. وكراً بسيطاً دافئاً.. أحقق له فيه آماله،

وأحق فيه التجربة الكبرى.

أنا أعطي.. إذاً.. «أنا أحيا»..

تمنيت لو كنت أحتضن طفلاً بين يدي.. ولكنه.. لم يتكلم.

فكرت: أنا ورقة بيضاء في حريق هائل...!

يود أن يثبت رجولته، يود أن يغطي حفر الكبت في نفسه...!

وذهب..!

وتفقدت طرقات بيروت.. أسعى في أثر مستقبلي. الرجل يصنع مستقبلي..

والولد يصنع مستقبلي...

وأنا أكافح لإعداد مستقبلي...

ففي طريق أي مستقبل.. سأسير..؟

وأسرعت في أثر الرجل.. أنوي ضرب وجهه بقدمي.. فأثبت لنفسي أنني.. لا زلت أحيا..

ورجعت إلى البيت.. كأنني مجبرة على العودة إلى البيت.

دائماً يجب أن أعود إلى البيت، أن أنام، أن آكل، أن أستحم، أن يحاك مصيري في هذا البيت.

* * *

openkandl.com

لَيْلَى بَعَلْبَكي

النوع الأدبي: كاتبة قصص، ورواية.

ولادتها: ١٩٣٤ في بيروت، لبنان.

ثقافتها: تعلّمت في مدرسة المعارف الابتدائية في عين المريسة؛ وكليّة المقاصد الإسلاميّة المتوسّطة والثانويّة؛ وجامعة القدّيس يوسف، معهد الآداب الشرقيّة.

حياتها في سطور: عضو في الهيئة السكرتيريّة في مجلس النوّاب من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٠؛ ثمّ صحافيّة في مجلّة الأسبوع العربي ومجلّة الدستور ومجلة الحوادث وجريدة النهار. زارت سوريا والأردن والسعودية ودول الخليج والعراق. أقامت في إنكلترا ١٩٧٥ ـ ١٩٧٩، وفي فرنسا ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، وزارت أميركا صيف ١٩٨٠.. متزوجة ولها ابنتان وولد.

السيرة:

أنا من عائلة مسلمة شيعيّة انتقلت من منطقة بعلبك حيث كانت تعيش إلى جنوب لبنان. ثمّ هاجرت هذه العائلة إلى بيروت طلباً للعيش. مع أعمال الفلاحة كان جدي لوالدي معلّم أطفال الضيعة وشبابها تحت ظلال شجر التين. وكان جدّي لوالدي فقيهاً في الدين.

والدي شاعر زجلي ووالدتي امرأة أمّية لا تقرأ ولا تكتب. وكان وضعها يثير غضبي. بدأت الكتابة باكراً، في سن الرابعة عشرة. نشرت «أنا أحيا» في العشرين. ثمّ سافرت إلى باريس في منحة لإكمال دراستي. عدت في السنة بعدها إلى بيروت مع مخطوطة «سفينة حنان إلى القمر» التي حوكمت بسببها بتهمة «الإساءة إلى الأخلاق العامّة». بعدها كتبت في

الصحافة أكثر إنتاجي من مقالات وقصص قصيرة. لم أنشر بعدها رواية.

تزوجت «أنطوان تقلا» زواجاً مدنيّاً في لندن. عندي بنتان وصبي.

الآن أكتب محاول جديدة في ربط سفينة حنان إل القمر بواقع الدمار الذي أعيشه اليوم والرعب والحريق ومحو الذكريات.

مؤلفاتها:

١ ـ **أنا أحيا**، بيروت، دار مجلة شعر، ١٩٥٨، رواية.

٢ ـ **نحن بلا أقنعة**، بيروت، منشورات التدوين الإنسانيّة، ١٩٥٩. محاضرة.

٣ ـ **الآلهة الممسوخة، بيروت، مطبعة دار مجلّة شعر، ١٩٦٠. رواية.**

٤ ـ **سفينة حنان إلى القمر**، بيروت، المؤسسة الوطنيّة للطباعة والنشر، ١٩٦٣. مجموعة قصص قصيرة.

* * *

الدكتورة سلمى الحفار الكزبري

سلمى الحفار

«البرتقال المر»

obeikandl.com

إني أشعر.. في تلك الأيام التاريخية.. بأهمية المسئولية الملقاة على كواهلنا نحن الشباب، وأعتز بحملها.. وأرى بوضوح.. أن رفض جيلنا الظلم والانقسام.. والتخلف.. هو رفض شريف.. بنّاء، وأن بلوغ أهدافنا القومية والإنسانية المقدسة تضحيات كثيرة وعقبات لا بد من تذليلها.. بتخطيط بعيد المدى.. وثبات، أما الآن فلقد أوشكت سيارة الجيب أن تصل، وسوف أستأنف الجهاد مطمئناً إلى أننا استرجعنا ثقتنا بأنفسنا، وحققنا الوحدة العربية الشعبية التي تفرض الوحدة السياسية. لقد أضحينا نوقن بأن ما يصيب الإنسان العربي.. في القدس، أو غزة أو مصر، في بلاد الخليج أو بلاد المغرب.. العربي كله، دمشق أو بغداد أو جدة أو الأردن، في طرابلس أو صور أو الخرطوم، يصيب العربي في كل مكان.. سواءً أكان مقيماً على أرض عربية.. أم مغترباً عنها.

هذا ما يقوله:

«عصام العربي» ست سنوات ونصف انقضت عليه وهو مقيم في الولايات المتحدة. لقد تخصص في الجراحة العامة أولاً، ثم في جراحة القلب، ولقد استعذب التعب والسهر.. لأنه نال أمنيته بهذا التخصص، ولقد تعرف في مدينة كليفلاند بالولايات المتحدة وفي جامعاتها.. بالعديد من الرجال والنساء.. أمريكيين وغير أمريكيين، وأعجب بعلمهم، وصدقهم

وتنظيمهم، الأساتذة والزملاء.. والرفيقات والزميلات.. على اختلاف جنسياتهم، وفرضوا عليه احترامهم، وتولدت بينه وبين بعضهم صداقة متينة.. إثر حرب حزيران، هذه الحرب التي تعارف العالم.. على تسميتها «حرب الأيام الستة».. ولقد تعلم في هذه البلاد أشياء كثيرة.. من أهمها تقدير الوقت، الإخلاص في العمل، احترام الناس جميعاً على اختلاف نزعاتهم وأديانهم ـ ما داموا مهذبين.. فما زالت للإنسان في هذه البلاد.. قيمة وكرامة، كما أن حريته مصونة ومقدسة، وعصام يتحدث عن انطباعاته الشخصية.. كما أنه لا يريد أن يعمِّم الأحكام عندما يقول: إنه ما زالت للإنسان قيمة وكرامة.. في هذه البلاد.. لأنه يعلم حق العلم.. ما يلاقي الزنوج من اضطهاد وظلم في بعض الولايات الأميركية، ويتألم كثيراً للتفرقة العنصرية، ويستغربها في بلاد تدَّعي الرقي الإنساني، وتفتح صدرها لمعالجة حقوق الإنسان وتتبجَّح بصيانتها، فإن العرب لا يفرقون بين بيض وسود، ولا دينيّاً ولا اجتماعيّاً ولا سياسيّاً، ولا يوجد لعبارة تمييز عنصري «مكان في حياتهم».

إن عصام على مشارف الثلاثين من عمره، ويتحرق شوقاً إلى العودة لأن حنينه إلى دمشق.. مدينته.. وإلى سورية، وإلى كل بقعة من العالم العربي، حنينٌ ملحّ يشده إلى الماضي ويشده إلى الحاضر والمستقبل.. فلماذا لا يستجيب له؟.. «أحُبّاً في الدولارات أم خوفاً من الجندية؟»، لقد عرضوا عليه عملاً مغرياً في أحد مستشفيات ولاية «أوهايو»، وأن يصبح مساعداً لرئيس قسم الجراحة، ويتقاضى عن هذا العمل مبلغ ألفين وخمسمائة دولار شهرياً، وتعويضاً إضافيّاً للسكن ولكنه رفض التعاقد.

يقول عصام وهو يتساءل:

ترى هل رفضت التعاقد بدافع التعصب القومي؟.. لا.. فإن الطب عملٌ إنساني.. مزاولته في سوريا أو رومانيا أو اليابان أو أي مكان آخر في العالم.. لقد صممت على العودة بعد تفكير طويل، واقتناع تام بما سمعت وقرأت هنا.. وهناك.. عن خطر «هجر الأدمغة من وطننا العربي»، كما

تعارف نزوح الشباب المتعلم فقررت العودة إلى وطني، لأن عودة أمثالي من الشباب الذين تخصصوا في سائر العلوم في الغرب.. مقدس عليهم لكي يسهموا في سد الثغرات، ورفع المستويات لأن وطننا.. يجتاز مرحلة النمو والبناء، ويعيش فترة نضال مصيري خطير، ولم يخطىء من قال: إن رجوع الشباب العربي إلى وطنه يزيد في ثروته وقوته لأنه رأس المال الحقيقي، لأن هجرته هي التي أفقرت بلاده وأخّرت تقدمها العلمي.. إن لم نقل زادت في تخلُّفها.

أما عن الجندية فلا أخفي أنها عقبة كبيرة تعترض طريقي وطريق أمثالي، لا لذاتها فخدمة العلم واجب علينا مقدس.

إن سلمى الحفار تضع في كتابها..:

«البرتقال المر» كل ما تريده لوطنها من تحرر وانطلاق، تعرضه في شكل رسائل متبادلة بين من يدرس في أميركا، وبين من يعيش في بلدها سوريا. وتضع مقارنة لكل ما تريده لبلدها من تقدم ورقي، وتضع الإصبع على الجرح الذي يدمى وتضمها رسائل «سالم» التي يتراسل بها مع عصام:

«من رسالة سالم: وإذا كنت تحسب يا عصام أننا تقدمنا اجتماعياً في السنوات الأخيرة، أقصد إذا كنت تحسب أن فتياتنا تحررن فكريّاً، وأن شبابنا تطوروا أخلاقيّاً وشفوا من عقدهم المستعصية فأنت مخطىء، ولا بد لي من أن أحلل الأسباب وأصف لك دافع الحال لأبدد أوهامك.. إن من يسمع عنا يا عصام يفرح، ولكن من يجرب أسلوب حياتنا يحزن. مظاهرنا خدَّاعة.. لأننا نخدع أنفسنا، وهذا الخداع الذي جرينا عليه.. لذواتنا.. وللرأي العام.. جعلنا نصدق ما ندَّعيه، فهو إذن أخطر من ذلك أن الأمثلة على ما أقول كثيرة.. على الصعيد العام.. والخاص، فعلى الصعيد العام الرسمي ما زال قادتنا يقولون: إن النكبة الكبرى التي منينا بها في حزيران نكسة وأننا أقوياء أشداء، أسلحتنا وجيوشنا على أتم استعداد لمعركة الثأر، فلمَ انقضت إذن تلك الأعوام.. ولم نحرر أراضينا المحتلة وفلسطين؟!

أما على الصعيد الاجتماعي.. فأقول لك بصراحة: إن تطورنا سطحي قبل كل شيء. نحن ارتضينا من التطور.. مظاهره، وفرحنا بلباسه الجديد.. فأحجمنا عن تطوير عقولنا.

كل ما أتمناه.. هو أن تطمع أنت إلى محاكاة القمم، لأن وطننا في حاجة كبرى إليها، وأن تعجل بالعودة لأنك ستكون طبيباً بارعاً، وجرّاحاً يستأصل العلل المادية.. والمعنوية».

ويعلق عصام على هذه الرسالة بقوله:

- إنني أفهم ثورة سالم على ما آلت إليه الحال في سوريا،

حيث لم تتحقق لا الحرية ولا الاشتراكية ولا الوحدة الوطنية والعربية.

وعاد عصام إلى دمشق. ومن دمشق التي تحارب بفرح وحماسة من عرين العروبة الصامد، فإن عواصم العالم العربي كله تشهد ولادة فجر جديد منذ السادس من تشرين الأول عام ٧٣، لأنهم يحاربون إسرائيل متضامنين متحدين من أقاصي المشرق العربي حتى أقاصي المغرب العربي. ولقد بدد هذا الفجر الظلام الدامس الطويل وفاجأهم بضيائه الوهاج.. مثلما فاجأ العالم كله.

والتحق عصام بالجندية وعمل طبيباً في الجبهة وذهب إلى بيته، وقضى مع أهله ساعتين في أعذب نشوة وأصدق سعادة لما سمع عن قوة أعصاب المواطنين جميعاً وفرحهم بالقتال.. نساء وأطفالاً ورجالاً، بوحدة الصفوف العربية وبقدرة جنودهم على مطاردة طائرات الميراج.

ورأى الدمع يبرق في محاجر أهله والجيران وسالم.. ساعة أن كان يحدثهم عن وضعهم ومشاعرهم في الجبهة، وعندما قال لهم: إن قضاءهم على أسطورة الجيش الذي لا يقهر منذ الساعات الأولى.. التي باغتهم فيها العدو.. بحرب جريئة، إنهم يسمون هذه الحرب.. «حرب رمضان وحرب تشرين».. والحق أنها تحققت فيما يشبه المعجزة، فمن كان يظن أن في وسع الجيش المصري عبور الضفة الغربية من القنال بساعات قليلة. لقد تم

العبور الرائع بفضل الإيمان، والثقة بالنفس، والتصميم على الثأر والنصر، وبهذه الروح تم الاستيلاء على «خط بارليف» التي تبجَّحت إسرائيل بمناعته - كما كانت تفعل دائماً لإضعافهم وإلقاء الرعب فيهم، ومن كان يحسب أنهم في سوريا وفي الجولان المحتلة بالذات يستطيعون الاستيلاء على أكبر محطة رادار أقامها العدو على سفح «جبل الشيخ» بالقرب من حدوده.. وحصَّنها أعظم تحصين.

لقد استولوا عليها وقت الغروب في اليوم الثاني للحرب!

وعلى لسان عصام.. تعبِّر سلمى عن شعور مواطن عربي عاش أحداث بلاده».

«رباه لأول مرة منذ عودتي من أمريكا أحب أن أصلي.. إني أشعر بحاجتي إلى الصلاة، فاقبلها مني يا ربي.. واغفر لي شكوكي السابقة.

دعنا يا رب نواصل مسيرتنا على هذه الطريق. أعنَّا على نبذ الأحقاد، وتجاوز الأنانيات لاستعادة الكرامة العربية.. والسؤدد، إني أعلم جيداً أن الانتصار كلمة كبيرة، تنطوي على معان وأبعاد منها الانتصار على النفس، والانتصار على التخاذل، والانتصار على العدو، وهل العدو سوى من يعتدي على حق الآخرين وحريتهم؟ ولكن يكفينا أننا هزمنا الهزيمة فينا اليوم.

ونحن بعد أيام الحرب الأولى.. ومحونا عار حزيران فحمداً لله»..

ومن قصيدة يحبها ويعشقها «عصام» ينشد مع الشاعر «عمر أبو ريشة» في قصيدة «صلاة»:

«رب طوقت مغانينا جمالاً وجلالا ... ونثرت الخير فيهن يميناً وشمالا
وتجليت عليهم صليباً وهلالا ... رب هذي جنة الدنيا عبيراً وظلالا
كيف نمشي في رباها الخضر تيهاً واختيالا ... وجراح الذل نخفيها عن العز احتيالا
ردّها قفراء - إن شئت - وموجها رمالاً ... نحن نهواها - على الجد - إذا أعطت رجالا

* * *

وماذا عن «البرتقال المر»:

إن «عصام» و«منى» (وهي ابنة عمه) قضيا معاً أربعة أيام في نيويورك، ودخلا إلى كافتيريا، وطلب عصام كوبين من عصير البرتقال دون أن يسألها، لأنه كان يعلم حبها لعصير البرتقال منذ طفولتهما التي عاشاها سويّاً في دمشق.. إلا أنها اعترضت تقول:

أفضِّل أن أشرب كولا مثلجة،

فسألها مازحاً:

- وهل بلغ تأثير أميركا في ذوقك حدّاً يجعلك تفضِّلين الكولا على أطيب شراب وأنفعه.. وأحبه إليك.. إن لم تخُنِّي الذاكرة.

فأجابت «منى» بعد تردد قصير:

- لا بد من الاعتراف لك بالحقيقة فأنت الوحيد الذي لا أخفي عنه شيئاً.. ذوقي لم يتغير، وأنا ما زلت مغرمة بأكل البرتقال ورشف عصيره، ولكني حرَّمته على نفسي، أقسمت ألاّ أذوقه قبل عامين وأوضحت في قولها بتأثير وانفعال:

«قضيت يومين في روما، ومع «علياء» ذهبنا إلى متجر كبير واشترينا لحماً بارداً وجبناً وفاكهةً وحلوى، وإذا بي أفاجأ بقراءة عبارات مطبوعة بالحبر البنفسجي على كل برتقالة حملناها «يافا - إسرائيل».

لقد صدمت يا «عصام».. صدمة عنيفة، تذكرت سنوات طفولتي وأحاديث أبي عن بيارات البرتقال التي أنشأها وربَّاها بيديه وقلبه، ثم تركها مع ما ترك للغاصبين المحتلين، كنت أحب البرتقال حبّاً جمّاً لأنه يمثل شجرة فلسطين الرائعة الخضراء، ولكن مجرد التفكير بأن حبة البرتقال التي وقعت في يدي ليلة اكتشفت مصدرها في روما هي من بستان أبي، أو من حقل جارنا، أو حقل أي مواطن فلسطيني، أضحى البرتقال عندي كل البرتقال «مر المذاق» فحرام عليّ أكله إلى أن أعود إلى أرض الوطن.

وعند سفر «منى» قلت لها:

إلى اللقاء يا «منى» قبل أقل من عام في دمشق حيث ستنضمين إلى صفوفنا ـ إن طلائعنا تنتظرك، ونحن عازمون على تنفيذ مخطط جديد، وعلى العمل المنظم من أجل العودة.

وظلت «منى» بعد ذلك مسيطرة على تفكير «عصام».. لقد ازداد إيماناً بقضية بلاده، وصمم على التحلي بالشجاعة التي سوف تقوده حتماً، وتقود الشعب كله إلى إصلاح النفوس.. ومعرفة حقيقة الضعف والقوة ـ ثم إلى بلوغ الأمل، وأحلى الأمل والأماني هو أن «تعود إلى البرتقال المر» حلاوته بزوال الاحتلال عن فلسطين ـ ليعود الحق إلى أصحابه، وتزول آثار المرارة من النفوس.

* * *

obeikandl.com